الجمهورية التركية ـ وحضارة الاسلام

عقد المندوبون والمعلمات في تركيا مؤتمراً لهم أواخر المحرم في مدينة أنقرة ، فألقى عليهم واصف بك وزير المعارف العمومية خطبة مطولة دامت اكثر من ساعة بين لهم فيها سياسة المعارف التي ينبغي للآخذين على عاتقهم مهمة تكوين النشء التركي الجديد أن يتبعوها في التربية والتعليم . ونحن نكتفي بالاشارة الى الغايات التي رمى اليها وزير المعارف التركية في خطبته لأن المجال في (الزهراء) لا يتسع لايراد نصها ، والتعليق عليها . ومثل خطبة واصف بك لا يضيرها التلخيص ، ولا يخل بما تضمنه من المقاصد ، لانها صريحة في بابها

قال وزير المعارف في الجمهورية التركية : ان الترك انصرفوا حتى الآن عن مشاعرهم القومية ، التي كان يجب أن تكون روحَ الثقافة عندهم ، وحياةَ شخصيتهم الاجتماعية ، واستُعبِدوا لثقافة العرب وحضارتهم

ولم يكتم الوزير غرضه من « ثقافة العرب وحضارتهم » فقال : ان الدين الاسلامي كان عقبةً في سبيل اندفاعنا نحو الحياة الجديدة ، وقد استخفَّ الترك بقوميتهم وألحقوا بها الاهانة والتحقير منذ أذعنوا للتهذيب العربي الأجنبي عنهم

قال : ولما وضعت الحرب العظمى أوزارها نشبت حرب أخرى بين القومية التركية وثقافة العرب وحضارتهم ، فقوّض الترك ما في ديارهم من معالم ثقافة العرب ، وبذلك ساروا شوطاً ابتدأوه لهدم المدنية الاسلامية التي استعبدت وطنهم وحالت بينهم وبين ترقيته . وما على المعلمين والمعلمات في الجمهورية التركية الا أن يواصلوا السير في هذا الطريق الجديد لتعليم النشء الجديد ، بانين سياسة المعارف على هذا الأساس

* * *

هذا هو صوت الدولة الرسمي الذي صدر في تركيا من رئيس الى مرءوسين . وضعت الأمة التركية بين أيديهم رجال المستقبل ليكوّنوهم بالشكل الذي يريدونه . وقد سمعنا من القسطنطينية صوتين ـ غير رسميين ـ يعارضان خطة وزير المعارف

الانقروية : أحدهما من مجلة دينية وهي (سبيل الرشاد) ، والثاني من جريدة (توحيد أفكار) التي لا تزال ترى أن سياسة العداء للاسلام مضرة بالترك

قالت (توحيد افكار) : ان الاساس الذي وضعه وزير المعارف لا يمكن أن يقام عليه بناء سياسة المعارف ولا أي شيء آخر . وليس صواباً قول الوزير ان الترك كانوا مستعبدين لثقافة العرب وحضارتهم ، فالترك لم يُرغموا على انتحال الاسلام ارغاماً بحدّ السيف كما أرغم عليه العرب [1] والفُرس والبربر ، بل دانوا به لأنهم وجدوه ملائماً لطبعهم القومي وموافقاً لتقاليدهم التاريخية ، فهم لم يضحّوا بتقاليدهم وسجاياهم في سبيل الاسلام

وأشارت مجلة (سبيل الرشاد) الى ملائمة الاسلام لطباع الترك وقالت : ان الترك بطبعهم من أنصار الوحدة ، وأوضاعُهم قائمة على أساس الولاية العامة ، ولما وجدوا في الاسلام مثل هذه القواعد مالوا اليه . وهم بفطرتهم جنود ، ورأوا الجهاد من أركان الاسلام فدخلوا فيه . والعرب لما اهتدوا بالاسلام الى فكرة الدولة والى قاعدة الوحدة استطاعوا أن يصلوا بالاسلام الى أعماق فارس وصحاري افريقية وحزون الاندلس . ولما نسي العرب ذلك بما علوا اليه من عصبية القبائل ، وكان الفُرس يستعملون أقصى مافيهم من قوى الذهاء لخنق الاسلام بالاساطير الفارسية تجديداً لسلطان الكسروية الساسانية المنقرضة ، كما كانت العقلية الاثورية والبيزنطية والمصرية ينخر سوسها في فطرة الاسلام ؛ يومئذ أُريدَ في العرب نورُ تلك السجايا التي أيقظها الاسلام الحقيقي . وان السجايا التي أيقظها الاسلام في العرب ايقظ مثلها في الترك فهذبهم بمبادئه العلوية الصافية . ولا ريب

(١) ان الذين دعوا العرب الى الاسلام هم العرب أنفسهم ، فكان منهم الهداة ومنهم المهديون . ولم يكن السيف أداة الدعوة في الاسلام بل كان يحمي الدعوة من الوافدين في طريقها المعتدين على حريتها ، وقد كان ذلك في بلاد الترك فيما وراء النهر كما كان في الاقطار الأخرى (الزهراء)

أن ما ظهر في الترك من فضائل انما هو أثر من آثار الاسلام . فسقوط الترك وانحلالهم لم يكن ناشئاً عن دخولهم في الاسلام بل عن ابتعادهم عنه

وقالت (توحيد أفكار) : ان ثقافة العرب وحضارتهم قد حفظت للترك قوميتهم ، بدليل أن الأمم التي ترجع الى أصل تركي لم يبق منها محتفظاً بقوميته الا الشعوب التي دخلت في الاسلام ، أما الشعوب التركية الأخرى فقد ذابت في الأمم التي دخلت في دياناتها

قال كوبريلي زاده فؤاد بك في تاريخ تركيا (١ : ١٥) : ورد في الاحصاءات الروسية أن ٥٢ ر٨٩ في المائة من الترك في روسيا مسلمون و ٠٥/١٠ نصارى ارثوذكس وسائر الترك وثنيون من أهل المذهب الشاماني ، وهو دين الجاهلية التركية . وفي الانضول فئة من الترك انتحلت الارثوذكسية فانسلخت عن التركية بدعاية اليونان ، كما انسلخ عنها نصارى الترك ووثنيوهم في روسيا بدعاية الروس

ثم قالت (توحيد أفكار) : هذا من جهة الجنسية التركية مدة اتصالها بالاسلام ، وأما من جهة اللغة فان الترك كانوا ـ حتى في الوسط الذي يغلب فيه سلطان العربية ـ محافظين على لغتهم يتكلمون بها مع معرفتهم العربية والفارسية ، بل ان بعض الترك كان يفتخر بجهله هاتين اللغتين . ذلك بأن الاسلام جاء مخففاً من حدّة العصبية القومية فكان من دواعي البقاء للغة الترك وقوميتهم

قلتُ : ولو أنصف القوم لذكروا للعرب فضلهم على اللغة التركية بما سبقوا اليه غيرهم من وضع القواعد لها وتأليف الكتب في صرفها ونحوها . ولكن الذي نعلمه أن ذلك صعبٌ على نفوس كثيرين منهم ، حتى أن السلطان عبد الحميد أمر بجمع كتاب (الادراك الى لسان الاتراك) الذي ألّفه أبو حيان الاندلسي

بعد أن طبع هذا الكتاب في القسطنطينية مدة سلطنته لأن أحد غلاة الترك قال له ان وجود هذا الكتاب في الايدي معرّة علينا لدلالته على سبق العرب الى تدوين قواعد لغتنا ، فأمر بازالته من الوجود . ثم لما نالت طريقة المستشرقين في نشر الكتب القديمة الاعجابَ والاستحسان عند الترك عادوا في مدة الاتحاديين الى نشر مثل هذه الكتب ومنها كتاب (حلية الانسان وحلبة اللسان) للشريف جمال الدين احمد بن مهنا صاحب كتاب (عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب) . وكتاب حلية الانسان هذا من أجود ما ألفه العرب في لغة الفرس والترك والمغول

قالت (توحيد افكار) : ويذكر الوزير أن حرباً نشبت بعد الحرب العظمى بين الأمة التركية وثقافة العرب التي هي دين الاسلام . ونحن قد شهدنا الزمن الذي أشار اليه الوزير ولم يكن لنا علم بهذه الحرب ، والذي علمناه أن الحرب كانت قائمة بين ارادة الأمة التركية وبين مطامع السلطنة ، فتغلبت الاولى على الأخرى . وكان هذا القيام حقاً من حقوق الأمة فتمخّض عن الحكم الجمهوري

* * *

وبعد فهذه هي المرامي التي رمى اليها وزير المعارف الانقروية في مؤتمر علمي عُقد في عاصمة الجمهورية ، مرشداً المعلمين والمعلمات — وكلاهما كانا من سامعي خطبته — الى سياسة التعليم التي يراد السير عليها في تلك الديار

وقد نُشرت خطبة الوزير في صحف أنقرة يوم القائها ، وطيّرت شركة برقيات الانضول ـ لسان حال الحكومة ـ خلاصتها الى أنحاء المملكة ، فأقرتها الحكومة بسكوتها عليها ، وقابلها الحزب الاسلامي بالمقالين اللذين أشرنا إليهما . وان الخطبة والمقالين مرآة صادقة لموقف تركيا اليوم تجاه العرب والاسلام